بين الأسلوبية والنحو دارسة في التعالق و المجاوزة .

Between stylistics and grammar: Study of correlation and excessiveness

أ.د طاطة بن قرماز

tatabenguermaze@gmail.com

مخبر نظرية اللغة الوظيفية

جامعة الشلف/ الجزائر

تاريخ الارسال : 2020-06-15 تاريخ القبول : 2020-06-23 تاريخ النشر:2020-06-30

الملخص:

استرعى موضوع إقحام النحو في الكلام المنبعث من العاطفة والسليقة اهتمام البلاغيين القدامى وكان الجاحظ قد آثار مسألة التنقيح التي تعدّ عملية عقلية تلحق ضررا بعملية التواصل وزوال الإمتاع ،وقد اتسم تفكير الجاحظ البلاغي ببعد فلسفي جمالي من حيث أبان عن تلاشي وفسادها بعملية التنقيح العقلي ، ففي توظيف التحليل تخريب للإمتاع ، كما وقف willy sandres على موضوع علاقة النحو بالأسلوب فرآه موضوعا بالغ الأهمية منذ القدم في الدراسات اللسانية ، و خاصة حين يصل فيها الأمر إلى درجة يعتقد فيها أن الأسلوب لا يمكن أن يعرّف بوضوح ما لم يرجع الباحث إلى النحو ، والأسلوب من منظوره نوعان :الأول الذي يحترم قواعد النحو ، والثاني الذي يخرج عن أطر أشكال الإعراب ، ويعرف بالأسلوب الشعري حيث أسماه بمصطلح الأسلوب المضاد anti stil.

الكلمات المفتاحية : الأسلوب والنحو، الإمتاع ، الاستحسان الأسلوبي ، الانزياح، المستوى اللانحوي ، الأسلوب المضاد .

Summary:

The issue of grammar involvement in speech emanating from emotion and instinct aroused the interest of the ancient rhetoric, Al-Jahiz raised the issue of revision, which is a

cognitive process that damages the process of communication and the demise of enjoyment. Al-Jahiz's rhetorical thinking was characterized by an aesthetic philosophical dimension in terms of demonstrating the disappearance and corruption of the aesthetic speech by employing cognitive revision, as the analysis ruins the enjoyment. Willie Sanders also discussed the issue of the relationship of grammar with style, and considered it as a very important topic since ancient times in linguistic studies, especially when it comes to the point where it is believed that the method cannot be clearly defined unless the researcher returns to grammar. And the style from his perspective are of two types: The first that respects the grammar, and the second that deviates from the frameworks of syntax, and it is known as the poetic style, which he termed anti-stylistic.

Keywords: Style, grammar, enjoyment, stylistic approval, displacement, non-grammatical level, anti-stylistic.

إنّ الشاعر أو المتكلم عموما لا يفرز اللغة فرزا عشوائيا عاريا من حسّ انفعالي عاطفي، إلا إذا كان بين المتكلم و ما يتلفظه منزعا يشتهيه فيغدو بينهما نسب ، والشهوة والمحبة والعاطفة عناصر غريزية يحتكم إليها اللافظ فيخرج كلامه مخرج التشهي والرغبة والمحبة من منظور الجاحظ الجمالي: "...وكذلك إذا سمعت نادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الطعام ، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو تتخير لفظا حسنا ، فإن ذلك يُفسد الإمتاع بها ، ويخرجها من صورتها ، ومن الذي أريدت له ، ويذهب استطابتَهم إياها واستملاحهم لها"[1] وعليه تسبق العاطفة الفكرة تتلقفها الذات المتلقية بعيدا عن مقاييس الإعراب التي يتدبرها العقل ، وهذا ما عالجه Jean– Marie Guillot – حين قال : " كي ينتج الخيال ، وكي تبدع العبقرية ، لا بد أن تستحثها العاطفة ، وأن يخصبهما الحب : يجب أن يعشق المرء فكرته حتى يشعر بالحاجة إلى إخراجها ...إن التحليل يقتل العاطفة .."[2]، لا تصدر اللغة المعبرة عن الحساسية الشعورية إلا بجيشان العاطفة والإبداع مرحلة أو محطة لا يصل إليه المبدع إلا باستنفاد طاقته الحسية الانفعالية .

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج:1، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، 1968 ص: 103.

[2] : جان ماري جويو ، مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ترجمة : سامي الدروبي ، ط:2،1965، بيروت ص:7

علاقة النحو بالأسلوبية من منظور Willy Sanders

عالج Willy Sanders[3] ، علاقة الأسلوبية بالنحو من خلال كتابه: نحو نظرية أسلوبية لسانية ، صدر هذا المؤلَف ضمن سلسة علمية موجّهة إلى أكبر عدد من القراء ، قال في مطلعه: "فقد جاء الحرص فيه واضحا على جملة من الأمور، أولها الوضوح والعرض والبعد عن التعمية في الأفكار ، وثانيها عرض ما جاء فيه من مفاهيم ومصطلحات على نحو لا يحتاج إلى كبير عناء لفهم المقصود بها ولا سيما في السياق الذي تأتي فيه ..."[4] ، يعرف النحو في الدراسات اللسانية بوصفه تنظيما للقوانين أو تحقيقا لها ضمن شروط محددة يحمل دائما طابعا شخصيا ، وهذا يعني أن المدلولات تجسّد الدوال ، والنحو في العرف الحداثي صورة مجردة ، منظمة ومستخلصة من النموذج اللغوي للبنية الوظيفية التي تربط الإشارات اللغوية، الحاملة للدلالة[5] .

تتحدّد خصوصية الأسلوب بازورار المنشئ عن المعيار، إذ يرى willy sandres أن المعيار غير ثابت لأنه متغير بتغير لغة فئة بشرية ما ، التي تصوغ مواصفات لغوية خاصة بها ، وهذا الذي جعل sandresيتوصل إلى تخريج معياري قوامه لم يعدّ بالإمكان الانطلاق عموما من معيار لغوي قواعدي ثابت وموحّد وملزم ، بل ينبغي افتراض معايير استعمال أكثر تنوّع وتشعّب تتغيّر بتغيّر اللّغة ، كما أن المعيار " لم يعدّ يسوّى بالتعيير بمعنى الحكم على طرق التعبير اللغوية من حيث كونها صحيحة أو خاطئة ، لأنه صار يعني شرح الاستعمال اللغوي الحي ووصفه بصيغة مولدة وأخرى غير مولدة وهذا التركيب قديم وآخر حديث[6]، يثنّي willy sandresعلى مجهودات لغوي مدرسة براغ الذين وفقوا من وجهة نظره في التمييز بين معيار اللغة وتنظيمها ، لأنهم أدخلوا تحت التنظيم القواعد التي يمكن أن تعدّ

---

[3] : willy sandres مؤلف ألماني من مؤلفاته : linguistischestil theorie ترجمه المترجم : خالد جمعة إلى اللغة العربية : نحو نظرية أسلوبية لسانية ، نُشر الكتاب في طبعته الأولى بتوزيع من دار الفكر بدمشق بسورية سنة 2003 .

[4] : فيلي ساندرس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ترجمة : خالد محمود جمعة ، ط: 1، دار الفكر بدمشق ، سوريا ، 2003، ص: 17.

[5] : نفسه ، ص:110.

[6] : ينظر نفسه ، ص: 111.

تشخيصا لما يراه الباحث معيارا لغويا بالنظر إلى موقفه اللغوي والأساس المادي الذي يعتمده في البحث وفي المنهج[7].

إنّ موضوع علاقة النحو بالأسلوب من وجهة نظر sandres موضوع بالغ الأهمية منذ القدم في الدراسات اللسانية و" خاصة حين يصل فيها الأمر إلى درجة يعتقد فيها أن الأسلوب لا يمكن أن يعرّف بوضوح مالم يرجع الباحث إلى النحو "[8]، يتحدّد الأسلوب وفقا لهذا الطرح النقدي بتطبيق أحكام النحو الماثلة في صيغ التراكيب المعتمدة في القول الأدبي، لأن النحو" في أيسر صور تعريفه هو العلم الذي يقدّم لدارس اللغة الصيغ والتراكيب التي تشمل عليها إمكانات الاستعمال اللغوي الصحيح ، فهو يتناول تقسيم الكلمات ، وحالات تغيّرها الإعرابي بحسب مواقعها ، أو لزومها حالا واحدة ، ويقدّم صور الجمل المستعملة من اسمية وفعلية ، وما يطرأ على كلّ منهما من زيادات أو نقص أو تبديل..."[9]

تقوم شروط الأسلبة على مخالفة المعيار النحوي ليتجلى الخطاب في هيئة التأسلب، و يمكن لنا أن ندرك جوهر العلاقة بين العلمين الأسلوبية والنحو القائمة على علاقة التبادل وذلك لأن " التطور اللغوي يلاحظ فيه أن الأنواع الأسلوبية الشخصية في الأصل ترقى إلى معايير عامة للاستعمال ، وإلى قواعد نحوية ، وهذه حقيقة أشار إليها الباحث الأسلوبي الرومانسي Leo spitz er وقد نعته sandres بالرومانسي في ملاحظته التي ذكرها مرارا حين قال : "ليس النحو أكثر من الأسلوبية المجمّدة "[10]، يفضي بنا هذا الرأي إلى القول : إن الأسلوب يتشكل من اختيار وانتقاء موفق تتلاءم فيه المواقف الانفعالية مع البدائل اللغوية المتاحة بغضّ الطرف عن احترام قواعد النحو أو كسرها كسرا مستلذا لا مُمِجّا.

يلاحظ المتمعن في عرض leo spitzer النقدي أن النحو يمكن أن يرقى إلى مصاف الأسلوبية أو إلى أن يتمثّل بأحدى وظيفتيها الجوهرية الشاخصة في رصد حركة الكلام الذي ينتقل من سمْت

---

[7] ينظر السابق ، ص:110.

[8] نفسه ، ص: 110.

[9] محمد عبد الله جبر ، الأسلوب والنحو، ط:1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ،الإسكندرية ، 1988، ص: 7.

[10] فيلي ساندرس ، نفسه : ص: 110.

الإخبار إلى سمْت الإثارة ، لذلك يمكن القول :إن رأي سبتزر القائم على اعتبار النحو أسلوبية مجمّدة،يسلمنا إلى أن النحو بهذا التوصيف يقف عند حدود الإبلاغ والإخبار ولا يبرح هذه الوظيفة الايطالية ولا يتجاوزها ، وتتمثل وظيفة الأسلوبية في دراسة انتقال الكلام من وظيفة الإخبار والإبلاغ إلى وظيفة التأثير والإمتاع ، فمرتبة الإخبار مرتبة مجمّدة أو محنّطة أسلوبيا ،فالنحو إذن هو أسلوبية محنّطة الوظيفة أو لا تكاد تقوم بوظيفتها المنوطة بها ، وهي دراسة أثر الكلام في المتلقي بالنظر إلى فاعليته التأثيرية تبعا لأسلوب مؤثر قد تُعزى تأثيريته إلى العاطفة أو التخييل ، وكأن النحو لا يمنح فسحة لترك العنان للمخيلة أن تسرح بما يقع في خاطرها من صورة تخيلية ، فوظيفة النحو حفظ اللسان من اللحن[11]، أي تقويم الخطأ أو الزيغ الذي يقع في عدم الالتزام بقواعد الإعراب.

بين البلاغة والنحو :

آثار هذا الموضوع تفكير المنظرين دراسة وتفصيلا ، وقدتنبه عبد الملك مرتاض برؤية انتقادية لوضع مآل البلاغة التأثيرية " وقد يكون أول المسؤولين عن فساد الخيال العربي وجنوحه للعقم وميله إلى التقليد ، ومجانفته عن التجديد ، هم علماء البلاغة الذين حنّطوا هذا الفنّ بمحاولة تصييره علما كالنحو ، مع أن وظيفة النحو هي حفظ اللسان من اللحن في حين أن البلاغة ليست غايتها حفظ اللسان من العجمة ، ولكنها تربية للذوق ، وكشف لجمالية الخطاب الأدبي ابتغاء معرفة أدبية الأدب la littérarité de la littérature، التي ظلّ رومان ياكبسونroman Jakobson يبحث عنها فلم يهتد سبيلا ..."[12]، تتابين الوظيفتان النحوية والأسلوبية ، فتقف وظيفة النحو عند حدود التقويم وتصحيح مواطن اللحن في الكلام ، بينما قد يتفلت الأسلوب من قيد معايير النحو، ليتجاوزها بتخطّي المعيار وبالتالي مجانفة المألوف من القول أو الاستعمال اللغوي والتركيبي .

ينعت John Cohen جون كوهن الأسلوب بأنه مجاوزة فردية[13]، وهو يتخذ من مقارنة الشعر بالنثر مبدأ لمعرفة روافد الفروق بينهما ، " وبالنسبة لنا فإن الأمر متعلق بمواجهة القصيدة بالنثر ، وبما أن

[11] : عبد الملك مرتاض ، نظرية البلاغة ، ص:211.

[12] : السابق ، ص: 211.

[1313] : جون كوهن ، بناء لغة الشعر ، ترجمة : احمد درويش ، ط: 3، دار المعارف ، القاهرة ، 1993، ص: 22.

النثر هو المستوى اللغوي السائد فإننا يمكن أن نتخذ منه المستوى العادي ، ونجعل الشعر مجاوزة تقاس درجته غلى هذا المعيار ومصطلح المجاوزة écart ..."[14]، يرى جون كوهن بأن المجاوزة في الأسلوب خطأ إلا أنه من وجهة نظره خطأ مراد أي مقصود ، كما يرى بأن المجاوزة شديدة الاتساع وعليه ينبغي العمل على التخصيص وتوخي الدقة في التناول كقولنا لماذا تعد ألوان من المجاوزة جمالية وألوان أخرى لا تعد كذلك [15]، يتخذ كوهن من اللغة الشعرية مبدأ لقيام المجاوزة التي تكون جمالية في غالب الأحيان ، لذلك يعرف الشعر بأنه نوع من اللغة ، وأن الشعرية هي حدود الأسلوب لهذا النوع .

بين الأسلوبية والنحو :

يصير النحو وليجة لتحليل الأسلوب عند شذوذ الأسلوب عن الالتزام بالمراتب النحوية تقديما في موضع التأخير و حذفا في موضع الإظهار ، إذ تتحدد العلاقة بين الأسلوبية والنحو باعتبار الأسلوبية علم المجاوزة اللغوية ، فهي تعمل أي علم الأسلوب على ملاحقة ظاهر المجاوزة النحوية و ما هي أسباب ظهور أو حتىّ شيوع هذه المجاوزة ، والمشكلة الحقيقية للأسلوب ذات طابع كيفي وليس طابع كمي[16]، وقد تكون نتيجة لطواعية محتملة اهتدى إليه الشاعر لما يتماشى مع الأسلوب ، فالشاعر مجبول على تبرمه من تطبيق قواعد الإعراب لأن لغته الشعرية المجازية قمينة بتلك المجاوزة ، يقول ابن المدبر : " ولذلك لا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر ، لأن الشعر موضع اضطرار ، فاغتفروا فيه الإعراب وسوء النظم ، والتقديم والتأخير والإضمار في موضع الإظهار "[17]، يجاوز الشعر بشئ من الاغتفار والتجاوز للمخطّط النحوي ، فالهروب من الإعراب –وليس المقصود هنا السقوط في اللحن– يكون أوقع وأحسن على المتقبل لما يتضمنه من خرق غير منتظر وغريب .

لا تقوم الأسلوبية في نظر باحثيها على قوانين ومعايير ثابتة كما هي في النحو لذلك ميّز sandres willy بين نوعين من الكتابة الأسلوبية : كتابة أسلوبية في صياغة منظّمة مطابقة للمعيار و

[14]: نفسه ، ص: 23.

[15] :نفسه ، ص: 24.

[16] جون كوهن ، بناء لغة الشعر ، ص: 26.

[17]ابن المدبر ، الر سالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، ص: 235.

كتابة أسلوبية مخالفة للمعيار عن وعي ومعرفة ، وعلى هذا الأساس يتمّ التفريق بين أسلوبين في الكتابة الأسلوبية : الأسلوب الأول أسلوب لغوي يحترم المعيار ولا يخرج عنه ، بيد أن الأسلوب الثاني أسلوب يُضاد عمل الأول ويناقضه من حيث يخرج عن المعيار ولا يتقيد به ، لذلك ينعت فيلي ساندرس هذا الأسلوب بالشعري الذي أسماه بمصطلح الأسلوب المضاد anti stil[18] ، وينشأ هذا التناقض نتيجة مخالفة التعابير اللغوية المألوفة النمط ، فكلّ مخالفة تعبيرية تشكل تناقضا مع سياقها الأسلوبي.

درجات النحويّة :

أفرد sandresعنوانا في كتابه أسماه: درجات النحويّة متقصدا ما تدارسه تشومسكي، ولا شك في أن هذه التسمية تومئ بأن للنحو درجات ومستويات متفاوتة الحدة ، وخاصة أن تشومسكي اعتمد ثنائية تمييزية نحوي وغير نحوي ، ترتبط درجة غير نحوي بما يعرف بالشواذات النحوية، فقد رسم تشومسكي من وجهة نظر فيلي ساندرس ترتيبا هرميا لتلك الشواذات ، راع فيها تنظيم درجة الشذوذ حسب نوعية خرق القاعدة[19] ، أعطى willy sandres أشكالا تصنيفية لترتيب هرمي يعود لصاحبه w. Abraham، فالنحوي يقصد به عدم الشذوذ من الناحية التركيبية والدلالية كالجملة الآتية : قلما تزحف الأفكار الخضراء الجديدة ، أما النصف النحوي فيتعلق بتغيير صياغة هذه الجملة وقولنا : نادرا ما تنام الأفكار الخضراء ، فالخضراء هنا تعني عدم النضج وتنام تعني الكمون ، لهذا تعدّ ألفاظا مجازية استعملت بغاية تحقيق معنى مقبولا نسبيا[20]، أما الصنف غير نحويagrammatikal ويقصد به خروج ترتيب وبناء الجمل على النظام النحوي المألوف الذي يُسفر عن إنتاج دلالة إيهامية ، كمجيئنا بجملة غُيّرت مواضع كلماتها تغيرا انزياحيا.

يمكن القول: بأن الجمل تُصنف إلى تراكيب نحوية وإلى تراكيب غير نحوية ، تأتي جملة : **نادرا أفكار تنام خضر** من وجهة القراءة النحوية السندرسية ضمن تركيب غير نحوي ، ومرّد عدم نحويتها راجع إلى إسناد صفة خضراء إلى كلمة الأفكار ، وتقديم الفاعل أفكار على الفعل تنام، أي أن المعنى يصعب

[18] ينظر : فيلي ساندر س، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ص: 106.

[19] ينظر : نفسه ، ص: 114.

[20] نفسه ، ص: 114.

شرحه على الرغم من بنائه التركيبي الصحيح ، أما القراءة الأسلوبية فتتعارض مع التخريج النحوي وتعتبر الجملة حدثا أسلوبيا بامتياز لانتقالها من سمْت الإخبار إلى سمْت التأثير.

تتّم الصياغة غير النحوية عن تولّد إجراء أسلوبي ، حسب رأي ساندرس كقول أحد لا يتقن اللغة الألمانية وهو أجنبي مثلا : متسائلا عن سعر لوحة مستخدما معجما لغويا ألمانيا خاص باستطاعته اللغوية : **الصورة ماذا النقود؟**[21]، فمن ناحية الصياغة فهي غير نحوية لأن الجملة لم تراع البناء الدلالي ، إلا أن المقصود منها يفهم من خلال سياق الجملة أو بإلحاق تعديل به.

يتحدّد الخروج عن المعيار من وجهة نظر ساندرس بقياسه بالمعيار أو بمقابلة الجملة مع الصحيح والمتعارف عليه للكشف عن حقيقتها، فجملة الشعر العربي القديم يتحدّد معيارها بالخروج عن قواعدها التنظيمية وهذا بمقابلتها الشاذ بغيره وبالمعمول به ففي المقابلة والموازنة يتكشّف المعيار.

يرصد المحلل الأسلوبي أسلوب المتصرف في استعمال اللّغة من حيث التصرّف في هياكلها الدلالية" أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف انتقل كلامه من السّمة الإخبارية إلى السّمة الإنشائية "[22] ، فالخروج عن النسيج المألوف للغة هو خروج عن هيئة الإخبار والانتقال والدخول في هيئة التأثير بفضل عامل الإنشاء .

يستطيع المنشئ بمهارته الإنشائية أن يرشّح أقاويل لغوية دون الأخرى ، حيث ينشأ عن عملية التصرّف في اللّغة ما يعرف بمصطلح الاستحسان الأسلوبي ، وهو الأساس المعتمد في الحكم على مثل هذا الانتقاء ، وهذا يعني أن تشكّل الأسلوب يُعزى إلى منزع اختياري بين الإمكانات اللغوية المستحسنة أو غير المستحسنة أو المستحسنة نسبيا[23]، وعلى هذا الأساس عدّsandres الاستحسان واحدا من مصطلحات نظرية الأسلوب يتمّ بموجبه تصنيف الأسلوب ، والاستحسان " عامل وفاصل في توضيح تلك

[21] ينظر السابق ، ص: 118.

[22] عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص: 125

[23] ينظر: نفسه ، ص: 123.

الكفاءة اللغوية الحركية المسؤولة عن استراتجيات التصنيف الأسلوبي"[24]، وانطلاقا من هذا التصنيف أطلق الأسلوبيون أنماطا متباينة على الأسلوب ، تستهدف انفعالا خاصا أو " أثرا مخالفا : الأسلوب المتدني يخبر ، والأسلوب المتوسط يمتع ، والأسلوب الرفيع يؤثر"[25] ، فالإخبار و الإمتاع والتأثير تداعيات شعورية ذات مستويات انفعالية متصاعدة ، كونها تستمد فاعليته الأسلوبية من درجة الاستحسان ، فغير المستحسن أسلوبيا يخبر ، والنسبي بينهما يمتع ، أما المستحسن أسلوبيا فيؤثر، ونعتقد أن المؤثر يكون أليطهم بالانزياح ، الذي يتحول الخطاب باستعماله إلى خطاب خاص ممتع ، لما للانزياح من قيمة في تحديد نظرية الأسلوب. لقد سلك عبد القاهر الجرجاني مسلكا تنظيريا تشعيريا لبسط جمالية النظم المنوطة ببعض ما يقتضيه علم النحو في الصياغة الشعرية قائلا : ".. فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازا في نفسك فعد فانظر في السّبب واستقص في النّظر ، فإنّك تعلم ضرورة أن ليس إلاّ أنّه قدّم وأخّر وعرّف ونكّر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرّر ، وتوخّى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النّحو ..."[26]، فالنفس المتلقية تهتز تأثرا وتفاعلا لبعض أشكال النحو من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وحذف وإضمار وتكرار ، فمن شأن هذه التراكيب أن تشغف المتلقي بصياغتها التي لا تأتي على هيئة واحدة لأن التمادي في توخي المسلك الواحد يُضجر النفس ويُسئمها.

جمالية الخرق النحوي :

يخلص فيلي ساندرس إلى نتيجة تكاد تكون حتمية ، فالأسلوب من منظوره "بوجه عام غير مطلوب منه الانتقاء بين إمكانات اللغة النحويّة وغير النحويّة ، وهذا ما يصبح أيضا حين لا يراد وضع " نحو بالمعنى المعروف بل وضع نحو أسلوبي" يكون موضوعا للملاحظة العرضية .."[27]، فهناك النحو المألوف ، وهناك النحو الأسلوبي الذي تفرضه متطلبات الصياغة الأسلوبية للغة الشعرية ، ففي احترام

---

[24] نفسه ، ص: 122.

[25] هنريش بليث ، المرجع السابق ، ص: 50.

[26]: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص: 68/67

[27] فيلي ساندرس، المرجع السابق ، ص: 120.

المراتب النحوية غياب للوسم الأسلوبي marquage stylistique[28] ، إذ يتجلى الوسم الأسلوبي في التعبير اللانحوي أو الخارق ، لا يتشكل جوهر الأسلوب حسب هذا الرأي النقدي من اختيار بدائل لغوية نحوية أو غير نحوية وإنما يتحقق الأسلوب بالاستناد إلى توخي إجراء انتقائي غير مستوعب نحويا، " ومن هنا لا تدخل النحوية والنحو في بناء نظرية أسلوبية بوصفهما أساسين "[29]، تتوزع الوسائل اللغوية بحسب تنظيم تقتضي بعضه قوانين النحو ، وتسمح ببعضه الآخر مجالات التصرّف[30]، فقد أكسب الخروج عن المعايير النحوية الأسلوبية ثراء أسلوبيا وإفرازا فنيا نوعيا على اعتبار تعامل الأسلوبية مع سمات نوعية للخطاب الأدبي، وإن كيان الأسلوب منوط تشكّله بإجراءات مفارقتية التي "تلاحظ بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة ، وهي مفارقات تنطوي على انحرافات ومجاذبات بها يحصل الانطباع الجمالي "[31]، تحصل هيمنة انطباعية جمالية لدى المتلقي تثير انفعالاته إعجابا واندهاشا لخرق النظام النحوي المعهود ، من خلال أسلوب يخرج بالعبارة الكلامية عن حيادها وينقلها من درجتها الصفرية إلى خطاب من درجة التأثيرية لما يتميز بنفسه[32]، إذ تسفر العبارة المؤلّفة بأسلوب انحرافي عن التعبير المألوف عن حدوث خاصية أسلوبية تقدّر عمقيتها التأثيرية في المتلقي بدرجة تدرجها خرقا للمعيار النحوي ، إذ تتأتى عبقرية المنشئ في جملة المفارقات التي يعتمدها مبدءا للحياد عن درجة العبارة الصفر.

يتفهم تودورف الأسلوب بأنه انزياح باعتماده لحنا مبررا" ما كان يوجد لو أن اللغة الأدبية كانت تطبيقا كليّا للأشكال النحوية الأولى ، ثم يحاول حصر مجال هذا الانزياح ، محيلا إلى جون كوهن ، فيقرر أن الاستعمال يكرّس اللغة في ثلاثة أضرب من الممارسات : المستوى النحوي والمستوى اللانحوي agrammaticalوالمستوى المرفوض ، ويمثل المستوى الثاني ، أريحية اللغة في ما يسع الإنسان أن

---

[28] جورج مولينيه ، الأسلوبية ، ص: 156

[29] نفسه ، ص: 120.

[30] ينظر عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص: 109

[31] فيلي ساندرس ،نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ص: 81.

[32] ينظر نفسه، ص: 81.

يتصرّف فيه"[33]، إن الخروج عن تطبيق أشكال النحو ومعاييره يولّد أسلبة من اللانحوي ويشكل مفاجأة للمتلقي ، بحيث كلما كانت غير متوقعة كان وقعها أعمق وأثرها أليط بالذات المتقبلة .

يخدم خرق المعيار النحوي المتواضع عليه الفائدة الأسلوبية ، فقد استدل عبد السلام المسدي بتصرف مستعمل اللغة في هياكل وأشكال تراكيب العبارة بما يخرجها عن المألوف فتنتقل العبارة وفق هذا التصرّف في اللغة من حالة الإخبار إلى حالة الإنشاء ، فأن تقول : كذبّت القوم وقتلت الجماعة من الناحية النحوية العبارة صحيحة ، أما من الناحية الأسلوبية فهي تخلو من أي وسم أسلوبي لأن تركيبها معهود ومألوف ، أما قولنا فريقا كذبتم وفريقا تقتلون،يظهر التصرف في استعمال اللغة من حيث كون النمط التركيبي عُدل عنه بتقديم المفعول به أولا واختزال الضمير العائد عليه ثانيا[34]، شكلت العبارة سمة أسلوبية بهذا العدول التركيبي النحوي ، فالانزياح يتشكل إذن من الخروج عن مألوف التركيبة النحوية ، وهو يتصل بآلية توزيع أدوات اللغة توزيعا يفاجئ المتلقي بانبصامه الجمالي ، لذلك أضحى خرق التراكيب النحوية مجالا خصبا للدرس الأسلوبي بما يقرره علم النحو من خيارات تركيبية متاحة صحيحة[35].

ففي إخفاء المراتب النحوية البلاغية والتلاعب بها تقديما وتأخيرا ومباعدة طبيعة إيقاعية حزمات وسمية أسلوبية تتلاحق متجلية، الفائدة منها إحداث المفاجأة بفضل ما يعمل من تغيير المراتب ، وتفكيك القياس ، حيث وثمّة من الأدوات النحوية ما يعمل عمل الإيقاع فهو يفيد دلالة معنوية أكثر منها إعرابية مثل النداء والترخيم ، فالنبرة التي تنبني عليها العبارات المنضوية تحت النداء والتعجّب تفيد دلالة انفعالية جمالية ، وذلك ما اعتدنا على تسميته أسلوبا إنشائيا ، ونرى أن الجملة الاسمية أكثر انسجاما مع الدلالات الإنشائية ذات البعد الانفعالي المقتضي ارتجال الأبنية والأساليب.

إن التصرّف في مراتب النحو تقديما وتأخيرا يعّد تصرفا أسلوبيا في العلاقات الركنية الاستبدالية أو الاختيارية والعلاقات الركنية التوزيعية، فقد قارب أبو حيان التوحيدي الوظيفة البنائية للنّحو من خلال

[33] نفسه : 82/81.

[34] ينظر نفسه ، ص: 124.

[35] ينظر : محمد عبد الله جبر ، الأسلوب والنحو، ص: 07.

سوقه رأي أبي سعيد ".. معاني النّحو منقسمة بين حركات اللّفظ ، وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتّأخير وتوخّي الصواب في ذلك ، وتجنّب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النّعت فإنّه لا يخول من أن يكون سائغا بالاستعمال النّادر والتّأويل البعيد .." [36]، فقول الشاعر : "**والعين تختلس السماع** " من الناحية التركيبية العبارة تبدو مقبولة ، بيد أن إيهاما وقع في معناه النحوي لأن السماع أسند إلى غير صفته وهي العين ، يعرف هذا الإجراء من منظور المسدي مجازا عقليا في العرف البلاغي العربي، بيد أن مدلوله لدى المحللين الأسلوبيين يعرف بتأليف بين جدولي اختيار متنافرين ابتداء وائتلفا في سياق توزيعي ركني، فيتسم الخطاب بالسمة الأسلوبية [37] ، فعبارة :العين تختلس، تقرأ بأنها جدول نفعي وتعبير لغوي شكله من نسيج طبيعي مألوف ، أما لفظة : السماع فهي جدول عارض أو طارئ كسر المتوقع وحطّم خيبة انتظار المتلقي، إلا أن الجدولين ائتلفا في سياق تركيبي توزيعي واحد ، فاتسمت العبارة بسمة أسلوبية نتجت من عدم تصور العين وهي تختلس السماع لا النظر .

تؤدي الشواذات اللغوية إلى خرق المجال النحوي ومن هنا يتبين" عدم إمكانية عدّ الأسلوب فصلا من فصائل النحو وصنفا ينضوي تحت لوائه ،لأن النظام اللغوي في حقيقته مبني بطريقة يسمح فيها بإمكانيات اختيارية لاستعمال اللغة " الأسلوب " إلى جانب القواعد الإجبارية للمعيار اللغوي "النحو" ، والإمكانات الاختيارية في واقع الأمر تعني الانتقاء من بناء متكّون من بدائل متنوعة نسبيا في نموذج التعبير اللغوي والاستحسان هو الأساس المعتمد في الحكم على مثل هذا الانتقاء، أي إن منطلق العملية المشكلة للأسلوب هو اختيار بين الإمكانات اللغوية المستحسنة ، أو غير المستحسنة ، أو المستحسنة نسبيا"[38]، يتحدّد كيان الأسلوب بالخرق المستعمل تجاه إمكانات لغوية متاحة ، فالحياد عن الإمكانات الإجبارية النحوية يولد غرابة في الاستعمال وغرابة في التلقي ينّم عن تعجيب وطرافة وإبداع في الاستعمال اللغوي يحفظ للمنشئ عبقريته المتمخضة عن كفاءته الخارقة في التلاعب بتراكيب النحو تقديما وتأخيرا ،

[36]: أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج: 1 ، ص: 121.

[37] ينظر عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص: 125.

[38] السابق ، ص:123.

إظهارا و إضمارا ، بتقييد للمعنى وإطلاقه ،تأتي الصياغة على هذا النحو من الاستحسان الأسلوبي الذي يعنى به الكفاءة الأسلوبية على تخير وانتقاء الأفضل من الإمكانيات المتاحة لغويا وتركيبيا.

أسلوبية الانزياح التركيبي النّحويّ:

لقد لا حظنا أنّ التركيب اللّغوي النّظمي الأسلوبي المتعلق بالجملة الاسمية متّصل الاتّصال الوثيق بنظم الدّلالات المحصورة ، يناسب ذلك ما جاء من الشّعر على وزن بحر البسيط : **مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن** ، مثلما يتّضح من شعر المتنبّي[39] :

[39] : ديوان المتنبيّ ، مجلد:3 ، ط:1 ، دار الكتب العلمية ، 1997 ، ص:302.

مراجع البحث :

- ابن المدبر ، الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، بيروت لبنان .
- أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج: 1 ،دار مكتبة الهلال بيروت لبنان.
- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج:1، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، 1968.
- جان ماري جويو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ترجمة : سامي الدروبي ، ط:2، 1965، بيروت.
- جورج مولينيه ، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة ، ط:1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، 1999.
- جون كوهن ، بناء لغة الشعر، ترجمة احمد درويش ، ط: 3، دار المعارف ، القاهرة ، 1993.
- عبد السلام المسدي ،الأسلوبية والأسلوب، ط:5 دار الكتاب الجديد المتّحدة 2006
- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت لبنان ،1981.
- عبد الملك مرتاض ، نظرية البلاغة ، ط:2 ، دار القدس العربي للنشر والتوزيع ، وهران الجزائر ،2010.
- فيلي ساندرس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ترجمة : خالد محمود جمعة ، ط: 1، دار الفكر بدمشق ، سوريا ، 2003.
- المتنبي ، ديوان المتنبيّ ، مجلد:3 ، ط:1 ، دار الكتب العلمية ، 1997 .
- محمد عبد الله جبر ، الأسلوب والنحو، ط:1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ،الإسكندرية ، 1988.
- هنريش بليث ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النّصّ ، ترجمة: محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب ،1999.

الخيل واللّيل والبيداء تعرفني * والسيف والرّمح والقرطاس والقلم**

أتى تأليف الشاعر وفق النسق الأسلوبي المباعد بين طرفي الإسناد وردّ الصدور على الأعجاز في الجملة الاسمية الخبرية الإنشائية التالية، فالمتعة سترد في الشعر التالي متضمّنة في طريقة تلاعب الشاعر بمواضع هيئة مراتب النحو ، إذ يكمن سرّ الوسم الأسلوبي القائم على الأسرار النّظمية في نظرنا على قيمة ذلك الانقطاع الحاصل جرّاء ذلك الفصل المطوّل بين الابتداء والإخبار ، فإنّ ذهن المتلقّي يحتفظ بالقيمة الابتدائية المؤجّل الإخبار عنها لفترة من الزّمن اللّغوي مملوءة بالزّخم اللّغوي لتبقي دلالة ذلك محمولة محتملة في الذّهن ، ففي تعالق كلّ من الملفوظ والمؤجّل تنقشع رغبة نظمية هي الدّالّة على مهارة الشاعر في اختيار التّوقيعات اللّفظية، وليس كل من يخرج عن الالتزام بالقاعدة النحوية يدعو إلى تشكل ظاهرة أسلوبية فقد يؤدي الخروج غير الناجم عن كفاءة وخبرة وتمهر إلى استثقال العبارة لدى المستمع وإلى خروج العبارة عن جودة الأسلوب المائزة.

تقوم العلاقة بين الأسلوبية والنحو على علاقة تلازمية من حيث أوكل للأسوب وظيفية دراسة الوحدات الأسلوبية الصغرى المتمثلة في المفردات وملاحقة متغيراتها من ناحية التراتبية النحوية ، إذ يعدّ الإعراب نظاما أو معيارا يقاس به الشذوذ النحوي ، فالنحو من الناحية البلاغية يسهم في توضيح المعنى وتوطين التفاهم ، لأن الأسلوب يقوم على الوضوح والإبانة ، كما يقوم على الإمتاع و الملاءمة والسلاسة ، تتمظهر الوسومات الأسلوبية بفعل خرق معيار النحو في تركيب لغة الشعر فتحدث المجاوزة المنوطة بحضور جمالية الأسلبة .